علاقة اللغة بالمنطق " عند أبو نصر الفارابي"

بلعز كريمة[1]

تمهيد

حين نقول عن الإنسان أنه منطقي في تفكيره، فما ذلك إلا لأنه يستخدم اللغة استخداما شعوريا، وما يرتبط بذلك من عمليات ذهنية من قدرة على التمييز بين الحق والباطل، الحكم على الأشياء بالصواب أو الخطأ واستنباط الأحكام والاستدلال على القضايا ،وهي كلها عمليات عقلية لا يمكن أن نشعر بوجودها أو نلمس آثارها بمعزل عن اللغة .ونحن حين نستخدم ألفاظا محددة في قضية أو مسألة ونسعى من ورائها إلى معرفة الأسباب والدلائل، وحين نصوغ مقدمات ويلزم عنها بالتالي نتائج ، فإن اللغة الاصطلاحية المنطقية هي التي تعيننا على استخدام تلك الحدود أو الألفاظ التي تسمى قياسا. ولقد استحوذ المنطق جل تفكير الفارابي، واتجاهه في جدله ومناقشاته في عرضه واستدلالاته وما ذلك إلا أنّ هذه الصناعة– كما يرى الفارابي – تكسبنا القدرة على تمييز ما تنقاد إليه أذهاننا أهو حق أم باطل،وإذا كان المنطق هو أساس الجدل السياسي، والجدل الفقهي والجدل الفكري،فإنه كان أساس علوم اللغة لأن إتقان الخطابة، وأساليب المجادلات يعد ضرورة لمن يرمي إلى إقناع الناس،فالأعمال الفكرية تنتظم ذهنيا بوسائل تعبيرية (لفظية) وتتدخل اللغة كأداة ضرورية لتحقيق التواصل بين الأفكار والبشر، المنطق إذا ضروري لكل من أراد أن يتفقّه في الدين أو يخوض معركة سياسية أو كلامية أو نحوية، فهذه صناعة دورها ودرجة ذيوعها، لا يمكن أن تعد دون العلوم في رأي الفارابي. [2]

علاقة اللغة بالفكر.

ولقد شغلت الفارابي موضوعات غاية في الدّقة تتصل بالنحو واللّغة وعلاقتهما بالمنطق والفلسفة كعلاقة اللغة بالفكر، ومشكلة المعنى والدلالة اللغوية والمنطقية والتي سيحاول الفارابي التوفيق بين مدلولها اللغوي والنفسي ومدلولها المنطقي. ولقد تبلورت إشكالية اللفظ والمعنى سواء في اللغة أو النحو أو الفقه أو الكلام في النظر إلى اللفظ والمعنى كشيئين منفصلين وبحيث يتمتع كل طرف منها باستقلالية واسعة عن الآخر، وقد وضّح ذلك في الطّريقة التي سلكها اللغويين لجمع اللغة ووضعوا لها معجما،كما أثارت عند الفقهاء مشكلة الدلالة، ومشكلة المحكم والمتشابه وحدود التأويل ومسألة الإعجاز القرآني وما ارتبط بهذه المسائل من فروض نظرية كلامية حول أصل اللغات في علم الكلام ثم مشكلة سر البلاغة وهل يعود إلى اللفظ أم إلى المعنى أم إلى النظم،ثم علاقة نظام الخطاب بنظام العقل في علم البلاغة.

ولقد تعامل الجميع مع هذه المشكلة، وكان لكل منهم كيانه الخاص وكانت النتيجة المنطقية لذلك الانفصام في التعامل هو الفصل بين اللغة والفكر، ولم يحاول أي اتجاه أن يهتم بعلاقة اللغة بالفكر، ولا دور اللغة في عملية التفكير. ولذلك كان اهتمام الفارابي الذي عاش في عصر انفجار الصدام بين النحاة والمناطقة بإبراز علاقة الفكر

---

[1] - أستاذة بجامعة الطاهر مولاي سعيدة.

[2] -الفارابي أبو نصر، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، دار الشرق بيروت، ط3 1968،ص 96.

باللغة والتأكيد على أن اللغة مرآة للفكر هي من أهم القضايا التي سنحاول من خلالها إعطاء الأولوية للفكر على اللغة،وللماهية على الوجود رغم الارتباط العضوي بينهما فلا شك أن الفكر يسبق اللغة دليل ذلك تجدد اللغات بتجدد الفكر،وظهور كلمات جديدة يشتقها الإنسان من كلمات قديمة أو يخترعها للتعبير عن المفاهيم الجديدة التي تولّدت لديه من ممارسة التفكير (المصطلحات مثلا).

هكذا أكد الفارابي أولوية التفكير على التعبير ليؤكد أولوية المعنى على اللفظ مستندا في ذلك إلى كيفية حدوث الألفاظ والكلام في الأمم، سواء تعلق الأمر بالمفرد منها أو المركب، هذا الاعتبار المنطوي على الإضافات، والتخصيصات، والتعميمات، وهذا لأن العالم منوط بعضه ببعض، ومنسوب بعضه إلى بعض، ومقيس بعضه إلى بعض.[3]

ونلاحظ أن" التوحيدي "هو الاخر استخدم مثل هذه المصطلحات" التوحيدي "في هذا تعريفاته مثل -معاني الكلام، اعتدال وانحراف،الميزان -مقيس بعضه على بعض :هي مصطلحات تتداخل بدرجة ما مع بعض مصطلحات النحاة والملاحظ أيضا في عبارة" التوحيدي "في دفاعه عن المنطق، ومواجهته الدعوة إلى عدم التكامل المعرفي في عصره وتعارض الاتجاه في إبعاد المنطق عن نسق الثقافة العربية الإسلامية بدعوى انه كفر وزندقة أو جهل. [4]

-مابين المنطق واللغة تاريخيا عند الفلاسفة المسلمين

إذا كانت اللغة هي الأداة الرمزية التي يتم بواسطتها التعبير عن أفكارنا ومشاعرنا بحيث يسهل تعاملنا مع الآخرين فنحقق التواصل معهم وإذا كان الفكر لا يمكن أن يظهر بدقة ووضوح سواء في الواقع المحسوس أو المعقول أو المعنوي دون أن يعتمد على الألفاظ والتراكيب اللغوية المضبوطة،فإننا نستطيع أن نقول إن المنطق قد نشأ في أحضان اللغة وأن اللغة هي وعاء الفكر والفكر هو محتوى اللغة، فالفكر بلا لغة تعبر عنه روح بلا جسد، كما أن اللغة بلا فكر يشيع فيها جسد بلا روح، وقد أشار"ماكس ميلر "إلى قوة الصلة بين الفكر واللغة حين قال " إن الفكر واللغة بمثابة وجهي العملة النقدية، وإذا نظرنا إلى تسمية المنطق لوجدنا علاقته الوثيقة بالنفس الناطقة التي هي قوة الفكر في الإنسان وهي من جهة أخرى ترتبط باللسان الذي هو أداة النطق وظهور اللغة.[5] وقد أشار الفارابي إلى أن المنطق هو أول شيء يشرع فيه بطريق صناعي ، ويشير إلى ضرورة الشروع بإحضار" أصناف الألفاظ الدالة على أصناف المعاني المعقولة،بل انه يشير إلى مدى اعتماد المنطق على اللغة العربية، وما يمكن أن يستفاد به من اللغة فيقول" ولما كانت صناعة النحو التي تشتمل على أصناف الألفاظ الدالة،وجب أن تكون صناعة النحو لها غنى ما في الوقوف والتنبيه على أوائل التي من عادة أهل اللسان صناعة تعد فيها أصناف الألفاظ التي هي في لغتهم ... فذلك يتبين ما عمل من قدم في المدخل إلى المنطق أشياء هي من علم النحو وأخذ منه مقدار الكفاية .ومن سلك غير هذا المسلك فقد اغفل أو أهمل الترتيب الصناعي ونحن إذا كان قصدنا أن نلزم فيه الترتيب الذي توجبه الصناعة فقد ينبغي أن تفتح كتابا من

---

[3] -المصدر السابق، ص 98 .

[4] -أبو حيان التوحيدي في رسالة العلوم طبعة الشدياق اسطنبول، د ط، دت ، ص 204.

[5] -محمد مصباحي، دلالات وإشكالات، عكاظ ، الرباط، دط، 1980 ص 30.

كتب الأوائل، به يسهل الشروع في هذه الصناعة وتعديد أصناف الألفاظ الدالة، فيجب أن نبتدئ به ونجعله تاليا لهذا الكتاب. والفارابي هنا عندما يتكلم عن علاقة المعقولات بالألفاظ فإننا نراه يشير إلى أن الألفاظ إنما تدل على المعقولات، والمعقولات تدل على الألفاظ، ومعنى هذا أن هناك علاقة وثيقة بين اللفظ ومحتواه المعقول أي بين الفكر واللغة ، ولما كان من غير الممكن أن يوضع معقول أو فكر تحدده قوانين معينة في قوالب أي ألفاظ لا قوانين لها ولا موازين تحددها ،من هنا جاءت الرابطة القوية التي تربط المنطق باللغة على وجه العموم والنحو على وجه الخصوص، إذ ليس النحو سوى علم ضبط اللغة التي هي قوالب الفكر.[6] في ذلك يقول الفارابي" . وصناعة المنطق تناسب صناعة النحو ذلك أنّ نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات) المعاني (كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ، فكل ما يعطينا علم النحو من القوانين في الألفاظ، فان علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات.[7] والفارابي هنا يؤكد على ضرورة أن تتوافق قوانين ضبط اللغة والألفاظ مع قوانين ضبط الفكر الذي يشكل مضمون الألفاظ، وان اللّفظ إن لم يدل على معنى محدد لم يعد لفظا علميا أو منطقيا، بل يمكن أن يكون لفظا غير معقول، ومن هنا تصبح الأصوات الدالة على معان دلالة محكمة هي الدليل الأكيد بين الفكر واللغة ويؤكد ذلك الفارابي بقوله .."فتكون الحروف والألفاظ الأول علامات بعضها لمحسوسات يمكن أن يشار إليها...فتحدث تصويتات كثيرة مختلفة بعضها علامات لمحسوسات وهي ألقاب، وبعضها دالة على معقولات كلية لها أشخاص محسوسة.[8]" ويؤكد الفارابي انه رغم وجود بعض الفروق بين العلمين ، إلا إنهما يتفقان في أنّ كل منهما يعطي قوانين للألفاظ التي يستخدمانها إذ يقول" وهو أي" المنطق "يشارك النحو بعض المشاركة بما يعطي من قوانين الألفاظ ويفارقه في أن علم النحو إنما يعطي قوانين تخص ألفاظ أمة ما وعلم المنطق يعطي قوانين مشتركة تعم الفاظ الامم كلها ،فان هذه الالفاظ احوالا تشترك فيها جميع الامم خاصة ان الالفاظ منها المفردة ،ومنها مركبة ، والمفردة اسم وكلمة وأداة ،وان منها ما هي موزونة وغير موزونة وأشباه ذلك.[9] "ونستطيع القول أن ظهور المفارقة بين المنطق واللغة أبان حركة الترجمات وتطورت الإشكالية بين النحويين والفلاسفة، الأول أدى دون ريب إلى صياغة جديدة للعربية في بنائها واشتقاق ألفاظها حتى بدت لغة غريبة عن لغة الأعراب وحتى من خلال الإسلام ، ولا يمكن القول بأننا بتنا أمام لغة خاصة بأهل الفلسفة توازي لغة أهل النحو الأولى،بل إننا نؤكد من خلال تحليل الفارابي العميق لحدود المنطق واللغة -إنها بدون شك لغة تفاعلت مع معطيات الفكر اليوناني وأولت الثقافات الوافدة إلى حد التفرد بقواعد اشتقاقية ونحتية جديدة وتراكيب منطقية– برهانية ورغم أنها تؤدي البعد الفلسفي الحسي الذهني لكنها تبقى -رغم ذلك -على العلاقة مع أصول مسطرة لفظية كانت أم معنوية تحليلية أم تألفية. وعلى ذلك فلم يكن هناك انفصام بينهما، بل تطورا وانفتاحا لها، والدليل على ذلك وكما يقول الفارابي أن اللغة مرت بمراحل تصاعدية وانتقلت من صنائع عامية إلى صنائع قياسية،كما أمكن

---

[6] - الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي، ط 2، 1949 ص 59.

[7] - المصدر، نفسه ص 54.

[8] - الفارابي أبو نصر، الحروف تح، محسن مهدي دار المشرق، ص137.

[9] - الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، ص 58.

استنباط قواعد جديدة وتعليلها منطقيا لم يكن ذلك إلا للارتباط القائم أصلا بين اللفظ والمعنى من جهة،وبين النحو والمنطق من جهة ثانية وهي تشبه العلاقة بين المسند والمسند إليه عند النحويين والمحمول والموضوع عند المناطقة، وأدى هذا التحول إلى الكشف عن أبعادها الجديدة والمتجددة، كما أن اقتحام الفكر لمجالات وعوالم جديدة بيانية، وأصولية، وكلامية وبرهانية وجدلية وعرفانية ،حول اللغة فجّر طاقتها إلى أن أصبحت جديرة بالتعبير عن تدرجات المعرفة أفقيا مع محافظتها على أصول اللسان العربي.[10] وهكذا فإذا كانت الصلة وثيقة والعلاقة واضحة بين المنطق واللغة كما أشار إلى ذلك الفارابي من الفلاسفة وبعض علماء اللغة فلماذا إذن اشتدّت الخصومة بين المناطقة والنحاة،وانتهى الصراع الذي احتدم في القرن الرابع الهجري بإحدى الطائفتين إلى محاولة إلغاء الأخرى تماما .إذ أنّه من المعروف تاريخيا أن النحو قد اكتملت أسبابه، وأصبح صناعة في نفس الوقت الذي ترجمت فيه كتب المنطق والفلسفة إلى اللغة العربية أي قرابة منتصف القران الثاني الهجري ويؤكد" دي بور " والدكتور "شوقي ضيف "أن النحو العربي تأثر بالنحو اليوناني وبالمنطق والفلسفة الإغريقية وكان ذلك على يد"ابن المقفع(ت143هـ)، والذي ترجم منطق أرسطو وكذلك"إسحاق ابن حنين"، وابنه اسحق "وتلاميذهما فقد اشتملت ترجماتهم كل علوم ذلك الزمان، كما يؤكد د. احمد أمين"أن"حنين" تعلم اليونانية ولازم" الخليل بن احمد الفراهدي " وأيده في ذلك "د .إبراهيم مدكور " وذهب إلى أن" حنين" تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية وأكد مصطفى نضيف أن حنينا تعلم العربية على يد " الخليل[11]" ويؤكد ذلك ما ذكره القفطي بقوله " التقى النحو مع المنطق والفلسفة في القرن الثالث الهجري، وكان اثر ذلك في كتاب الأصول لابن سرّاج النحوي وخاصة في التقاسيم التي ضمنها كتابه ،وقد ذكر المرزباني انّه صنّف كتابا في النحو سماه الأصول انتزعه من كتاب سيبويه وجعل أصنافه بالتقاسيم على لفظ المنطقيين. [12]

ومما لا شك فيه أن مشكلة الصلة بين المنطق واللغة أو النحو بصفة خاصة قد ظهرت واضحة في القرن الثالث الهجري ،واتخذت شكل خصومة عنيفة في القرن الرابع حين تغلغلت العلوم الفلسفية في عقول الناس، وأصبحت الفلسفة مهددة بنفوذ الفقهاء واللغويين في السّاحة الإسلامية، فكان ما كان من ظهور المناظرات والمناقشات ،ومحاولة الانتصار للنحو ودحر المنطق والفلسفة، بل وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأن دراسة المنطق والفلسفة تضعف وتلهي عالم اللغة، ولقد حفظ لنا التاريخ نصوص المناظرة الشهيرة التي جرت في مجلس" الفضل بن جعفر بن الفرات "وزير الخليفة المقتدر سنة320هـ ودارت بين" أبي سعيد السيرافي"النحوي والفقيه والمتكلم، وبين الفيلسوف المنطقي النسطوري "أبي بشر متى بن يونس "في بغداد، وحضرها عدد من أهل العلم والاختصاص ومنهم" على بن عيسى الرمّاني "الذي كتب المناظرة، ورواها وأملاها على" ابوحيان التوحيدي "الذي تركها لنافي كتابين هما"الإمتاع والمؤانسة"، و"المقابسات"اشتدّت الخصومة في تلك المناظرة بين المناطقة اللذين اعلوا من شأن المنطق وذهبوا إلى انه لا حاجة بالمنطق إلى النحو، بينما يحتاج النحو إلى المنطق، ليس هذا فحسب بل إن" أبا بشر متى"هاجم اللغويين

---

[10] -محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي مركز دراسات الوحدة العربية ،دط ، 1992 ص 46.

[11] -دي بور تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ط 3، ص 25.

[12] -زينب العفيفي فلسفة اللغة عند الفارابي دار قباء للطباعة والنشر ، دط ، 1997 ص 191.

وأثارهم بقوله أن النحو يبحث أساسا في اللفظ بينما يبحث المنطق في المعنى، وإن المعنى أشرف من اللفظ..وأنه لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، الخير من الشر،والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه القيام به ."أما النحويون وهم الفريق الذي واجه المناطقة، فقد ساهم ما حمله عليهم المناطقة واختاروا "أبا سعيد السيرافي" النحوي البارع المحيط باللغة والمنطق البارع في الجدل والمناظرة لينتصر لهم، وقد استطاع أن يحرز نصرا،ونجح في رد "أبي بشر متى بن يونس ودحض حججه وإظهارها بمظهر الجاهل للغة والنحو وكيف يأتي لمنطقي البراعة في صناعة النحو وهو لا يتقن مسائل اللغة والنحو، إذا عرفنا أن شيئا كبيرا من صناعة المنطق في مادته ومصطلحاته مستعار من المصطلح اللغوي ومادته،كما يقول السيرافي. [13]

ولا شك أن هذه الخصومة التي اشتدّت وطأتها في القرن الرابع الهجري لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن الجو الديني للأمة الإسلامية في ذلك الوقت ،إذ أن موقف الفقهاء ورجال الدين من الفلسفة انعكس انعكاسا تاما على موقفهم على المنطق أيضا،ولما كان أكثر علماء اللغة من الفقهاء، بل إن الدراسات اللغوية في صميمها دراسات قائمة على علوم الدين فكانت تلك الخصومة السافرة بينهما،هذا بالإضافة إلى جوّ التعصب الذي ساد تلك البيئة حتى أن بعض المحللين لتلك المناظرة يرون أن الدافع الأساسي لها أن "أبا بشر"كان نصرانيا ولعل العرب المسلمين في ذلك الوقت قد ضاقوا بأن يهاجمهم نصراني في لغتهم ويقلل من شانها،[14] ويستدلون على ذلك بقول السيرافي ..."إنما بودكم أن تشغلوا جاهلا،وتستذلوا عزيزا وغايتكم أن تلهوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية. وهذه كلها خرافات و ومغاليق ومن حاد عقله وحسن تميزه استغنى عن هذا كله. [15]

-تأثير المناظرة على فكر الفارابي

ورغم أن هذه المناظرة كان لها أثرها الواضح على الفارابي حتى أن أرائه في كتاب الحروف تعد انعكاسا صادقا لما جرى في ذلك المجلس ورد على كثير من التساؤلات التي أثارها"السيرافي "وعجز عن الإجابة عنها "أبو البشر متى بن يونس "إلا أنه يصبح من غير المفهوم والمدهش عدم حضور الفارابي تلك المناظرات وكان معاصرا لها وله مكانته الفكرية والفلسفية في بلاط الأمراء والملوك، ولا شك أن حضوره كان سيغيّر من النتائج التي ترتّبت عن تلك المناقشات، فقد كان ضليعا في اللغة وأحكامها، وعلى معرفة بالحروف ومعانيها ومواضع استعمالها وهو ما افتقر إليه "أبو البشر متى بن يونس "الذي اتهمه "السيرافي "بالجهل باللغة العربية وفقهها ونحوها، وعجزه عن إقناع سامعيه بصلة المنطق بالنحو إذ كيف يقنع سامعيه -كما يقول السيرافي وهو يتحدث عن الصلة بين شيئين لا يعرف شيئا عن

---

[13]-أبو ريان محمد علي دراسة تحليلية مقارنة بين النحو والمنطق ضمن كتاب الفارابي والحضارة الإنسانية، بغداد، دط، 1975ص ص 193-194.

[14] - محمود فهمي زيدان في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية، دط 1985 ص 176.

[15] - أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط 2 ، دت ص113.

أحدهما (وهو اللغة العربية).[16] ويؤكد هذا الرأي د.محسن مهدي في مقدمة كتابه الحروف إذ يقول"يبدوا أن الفارابي ذهب يجيب عن هذه الأسئلة، ويفسر هذه الأمور في حلقة كان يشرح فيها معاني الحروف ويفسر فيها كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس، فأطنب في أصل اللغة وفي نشأتها، وفي صلتها بالفلسفة والملّة، وأن كتاب الحروف هو ما أملاه في هذه الحلقة في الجواب عن الأسئلة التي أثارها" السيرافي، والآراء التي دافع عنها في مناظرته مع" متى "في طبائع اللغات، واختلاف اصطلاحها، ودلالة الألفاظ على المعاني الفلسفية، ونقل المعاني من لغة إلى أخرى ، وأخذ يدحض ما زعمه" السيرافي "من أن المنطقيين لا يصرفون عنايتهم إلى اللغة التي يتحاورون بها، ويدارسون أصحابهم بمفهوم أهلها.[17] "إن تناول الفارابي لهذه القضية لم ينحصر في كتابه الحروف فحسب، بل إننا نجد تفصيلات في كتابيه "إحصاء العلوم، والألفاظ المستعملة في المنطق "أيضا. فنراه يقرر أن صناعتي النحو والمنطق تجمعان بين أشكال الألفاظ ومعانيها وهما تتكاملان لتعكسا تعبير اللسان عما في الضمير وعلى مستويات عدة من الإدراك الحسي والعقلي، فالنسبة بينهما نسبة لفظ إلى معناه" ذلك أن نسبة المنطق إلى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ، فكل ما يعطينا علم النحو من القوانين في الألفاظ، فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات.[18]

وإذا كانت الألفاظ ترتب اللسان فقط، فإن ترتيبها على معان معقولة تلازمها ضرورة تتطلب إقحام الذهن لاكتشاف الروابط والوسائط بين حدود الكلام، وفي ذلك يقول الفارابي مميزا بين ترتيبي اللسان والذهن"وبين أن الأشياء التي ترتب فيشرف بها الذهن هذا الترتيب هو ترتيب أشياء في الذهن،والألفاظ إنما ترتب على اللسان فقط.[19] "من هنا اختلفت الألفاظ من صناعة إلى أخرى، نظرا إلى اختلاف دلالتها، فالنحويون يستقون ألفاظهم من تلك المشهورة عند الجمهور، بينما يضع المناطقة ألفاظا خاصة بهم مستمدة من إدراكات عقلية ولهذا تفارق قوانين النحو قوانين المنطق .ويؤكد الفارابي ذلك بقوله"علم النحو إنما يعطي قوانين تخص ألفاظ أمة ما، وعلم المنطق إنما يعطي قوانين مشتركة تعم ألفاظ الأمم كلها ...مثل أن الألفاظ منها مفردة ومنها مركبة.[20]" وإذا كان الفارابي يطيل في تحليل مضامين الألفاظ بعد تحديد معانيها، فلم يكن ذلك إلا لترسيخها في العقل وتطويرها، إذ وجد أن الانتقال من علم البيان إلى علم البرهان إنما يجب أن يتم عبر موازين جديدة لها ألفاظها وأساليبها المنطقية، وقد وجد من خلال هذه القوانين ما ينقل العقل من مرحلة تجريدية الأولى يتم فيها وضع الألفاظ للاتصال والتعبير، إلى مرحلة تجريدية ثانية يكشف فيها عن العلاقات المنطقية بين الألفاظ والأقاويل فيعلوا بذلك فوق خاصية اللسان وذاتية اللغة ويحيط بشمولية الفكر وضروراته، ولم يكن كتابه"الألفاظ المستعملة في المنطق"سوى إطلالة يطل من خلالها على جمهور

---

[16] - المصدر السابق، ص 107.

[17] - الفارابي، كتاب الحروف، المصدر السابق ص 47 .

[18] - الفارابي، إحصاء العلوم، ص 13.

[19] - الفارابي، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق ص 100

[20] - الفارابي، إحصاء العلوم ص 17.

العامة بأصناف ألفاظ لم يألفوها، مظهرا لهم مدى تباينها عن تلك التي يستعملها النحاة، فيصيغها في صناعة خاصة بألفاظها الذاتية وليس مما يستعملها بحسب دلالتها عندهم.[21] وقد قسّمها أنواعا منها الألفاظ المفردة كالحروف والأسماء ومنها المركبة أو الأقاويل كالقضايا، ومنها أصناف المعاني الكلية المفردة أي الكليات الخمس المفردة، وأصناف المعاني الكلية المركبة كالحد والرسم الجامعين للكليات أو لبعضها .اهتم الفارابي إذن ببيان الصلة بين النحو والمنطق، وهو أمر لم ينظر فيه مفكر إسلامي قبل الفارابي أو بعده بالتفصيل والعمق الذي نظر فيه الفارابي في مصنفاته العديدة، ويؤكد الدكتور "محمود زيدان "ذلك ويرى أنه الأول من أدرك العلاقة بين هذين العلمين في الفكر العربي القديم وإذا كان السيرافي والتوحيدي من اللغويين، والسجستاني من المناطقة، قد تعرضوا لها دون تفصيل وعمق كما فعل الفارابي ، بل إنه يؤكد أن إدراك هذه العلاقة من أدقّ موضوعات فلسفة اللغة، وأصعبها على التناول حتى بالنسبة للفلاسفة المحدثين المعاصرين أمثال" كانت"، "ورسل،" فنجنشتين".[22]

حاول الفلاسفة العرب واللغويون أن يثبتوا الصلة الوثيقة بين العلمين وأن كلاهما يهتم بالألفاظ والمعاني في آن واحد، وأن دور النحو في ترتيب عبارات اللغة يشبه إلى حد كبير دور المناطقة في ترتيب الصور الفكرية، والواقع أن العلمين يتكاملان ولا يستغني أحدهما عن الآخر، فالنحوي يحتاج إلى المنطق في ترتيب قواعده وتصنيف موضوعاته، والمنطقي يحتاج إلى النحو في صياغة أفكاره واستخلاص نتائجه، وإذا كان المنطق عام والنحو خاص فالمنطق لغة عالمية ، والنحو منطق قومي وفي ذلك يقول "السجستاني" "النحو منطق لغوي والمنطق نحو لغوي " ونستطيع بناءا على ذلك أن نقول...أن كل ما بينهما من فرق إنما هو فرق في درجة التركيز على أحد الجانبين فيركّز النحوي على الألفاظ بينما يركّز المنطقي على المعاني،والشّهادة في المنطق مأخوذة من العقل،والشّهادة في النحو من العرف، و دليل النحو طباعي ،ودليل المنطق عقلي،والنحو مقصور، والمنطق مبسوط، والنحو يتّبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف، والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو مستمر على الائتلاف،[23] فالحق أن "الفارابي "المنطقي اللغوي كان أكثر حرصا على بيان وتوضيح أوجه التقارب بينهما بأسلوب جزل عميق، إذ كان يعتقد أن الإحاطة باللّغة ونحوها شرط أساسي لدراسة المنطق، وأنّ النحو يبحث في اللفظ ومعناه كما أن المنطق يضع القوانين الضّرورية لكل فكر صحيح وللمعاني الأولية الثّابتة الموضوعة دائما في ثوب لفظيّ وفي ذلك يقول" وأما موضوعات المنطق وهي التي تعطي القوانين فهي المعقولات) المعاني (من حيث تدل عليها الألفاظ، والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات، وذلك أن الرأي إنما نصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونتروى ونقيم في أنفسنا أمورا ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأي".[24]

---

[21] - الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، ص 44 .

[22] - محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة المرجع السابق ص 172.

[23] - أبو حيان التوحيدي، المقابسات ، ص 124.

[24] - الفارابي، إحصاء العلوم ص 54.

هناك تشابه إذن واتساق كما يرى "الفارابي "بين قوانين النحو والمنطق، وأن من اليسير أن نجد في قوانين النحو ما يناظرها في قوانين المنطق فإن لم تكن قوانينهما واحدة متقاربة موصولة وفي ذلك يقول الفارابي"وصناعة المنطق تناسب صناعة النحو "ذلك أن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات)المعاني (كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ، فكل ما يعطينا علم النحو من القوانين في الألفاظ، فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات.[25] فاللّغوي لا يمكن أن يستغني عن المنطق بأي حال من الأحوال والنحاة لا يستطيعون أن يغفلوا المعاني (معاني الألفاظ ودلالتها) وإلا لما استطاعوا أن يفرّقوا بين الفاعل والمفعول، ذلك أن لكل عملية وصيغة نحوية تقتضي الرّفع أو النصب أو الجرّ لا يمكن أن تتم آليا، بل لابّد وأن تمر بعمليات عقلية تستعرض المعنى أولا وتستجيب للحدث الواقع مع المعنى فتأتي الصّيغ النحوية مستجيبة لهذه العملية العقلية، والعملية العقلية في صميمها – كما يقول الدكتور "أبو ريان" " هي التي قوامها فحص المعاني والأحداث وربطها ربطا عقليا وأن إدراك العلاقات فيما بينها هي عملية منطقية من الطراز الأول فالنحاة حينما يمضون في طريق تخريج قوانينهم وقواعدهم وتطبيقها على اللغة، وهم في نفس الوقت يقومون بعمليات منطقية مضمرة.[26] والدليل على ذلك أنه بعد القرن الرابع اختلط النحو بالمنطق، والمنطق بالنحو وكذلك البلاغة بحيث وجدنا نحوا فلسفيا" أقيمت أسسه على يد"ابن يعيش "643-533 في القرنين السادس والسابع الهجريين. [27]

ليس هذا فحسب ، بل أن القضية اتخذت مسار الحوار والمناقشة عند" أبي زكريا يحي بن عدي)ت363هـ - 984م "(والذي ألّف في هذا الموضوع مقالة في تبيين الفصل بين صناعتي المنطق الفلسفي والنحو العربي، وقد اتخذ لنفسه طريقا وسطا بأن بين مزايا كل علم وحدده تحديدا مناسبا، وقد استمر الاهتمام بهذه القضية طوال القرن الرّابع والخامس، وخصّص "إخوان الصفا "الرسالة السابعة عشرة في إطار الطبيعيات لفلسفة اللغة وقد حاولوا تفسير الظواهر اللغوية بطريقة فيزيائية'،كما ميّزوا بين المنطق اللّفظي الذي هو أمر جسماني محسوس، والمنطق الفكري الذي هو أمر روحاني معقول، وحاول أبو عبد الله الإصفهاني360-280) هـ (في كتابيه"الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية "أن ينبّه إلى حدوث ما يسمى بالتّجاوز للنسق العربي الخالص ويبيّن المشترك والمختلف بين اللغات.[28]

تجليات التآلف بين اللفظ والمعنى من خلال اللغة والمنطق

وهكذا عرف القرن الثالث ثم الرابع أنماطا من الفكر اللغوي إيضاح الصلة بين المنطق واللغة، غير أن محاولة الفارابي تعد مثلا متميزا للقاء الثقافات إذ نرى في أرائه التقاء الثقافة العربية بالثّقافة اليونانية مع رؤية لثقافات الشعوب الأخرى، موضوع المنطق والنحو إذن مشترك وهو اللغة،لأن الألفاظ التي يعالجها النحو هي نفس الألفاظ التي يعالجها المنطق، وليست قضايا المنطق سوى الجمل المفيدة عند اللغويين يؤكد الفارابي ذلك بقوله "إن النحو يعطي قوانين

---

[25] -أبو ريان، دراسة تحليلية مقارنة بين النحو والمنطق ص ص 193-194 .

[26] - جرار الجهامي الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، دار الشرق بيروت ، دط ، 1994 ص 118.

[27] - المرجع نفسه 119.

[28] - الفارابي، إحصاء العلوم ص 62.

تخص ألفاظ أمة ما، ويأخذ ما هو مشترك لها ولغيرها، لا من حيث هو مشترك، بل من حيث هو موجود في اللسان الذي عمل ذلك النحو. كما يقول " والمنطق فيما يعطي من قوانين الألفاظ، إنما يعطي قوانين تشترك فيها ألفاظ الأمم ويأخذها من حيث مشتركة ولا ينظر في شيء مما يخص ألفاظ أمة ما، بل يوصي أن يأخذ ما يحتاج إليه من ذلك عند أهل العلم بذلك اللسان.[29] "وهكذا فلم يكن الفارابي متحيزا لمنطقه على حساب لغته، بل انه أراد أن يوضّح قيمة كل علم في الوصول إلى المعرفة الصحيحة وفق قواعد لغوية منطقية سليمة، وهذا ما يتّضح من تفسيرنا لنصوصه السابقة إذ انه يؤكد من خلالها انه رغم أن النحو يعطي قوانين تخص ألفاظ أمة ما وقوانين أخرى مشتركة فيها مع غيرها من الأمم فهناك قدر مشترك بين النحو في كل اللغات وقدر خاص تختص به كل أمة على حده فالحقيقة أنّه يؤكد أن هذا القدر المشترك للنحو في كل اللغات إنما يعود إلى المنطق، الذي يعطي قوانين الألفاظ المشتركة والدليل على ذلك أن الترجمة من لغة إلى أخرى لا تخصّ الألفاظ وحدها، وإنما دلالات الألفاظ ومعانيها ولو اهتمت الترجمة باللفظ دون المعنى سوف تكون ترجمة خاوية من المضمون سطحية لا قيمة لها.[30] فالمنطقي كما يرى الفارابي لا يعنى بمصطلحات العلوم وألفاظها، أو الألفاظ الدالة على الأشياء فهذه قد تختص بها المعاجم اللغوية، ولكن المنطقي يعنى بالألفاظ التي يستخدمها العقل في عملياته العقلية التي يشترك فيها جميع الناس فلا يمكن أن تختلف أمة عن أخرى في الإشارة إلى الاسم أو الأداة أو الفعل وحتى إن اختلفت قد يكون الاختلاف سطحيا ظاهريا، وعموما فمثل هذه الألفاظ تدخل في المنطق تحت تقاسيم أخرى مثل أنها تدخل تحت مقولة الجوهر، أو مقولة الكلمة أو مقولة الموضوع والمحمول، وهكذا فالمنطق والنحو يشتركان في التقسيمات الرئيسية رغم أن كلاهما يختلفان في المسميات،[31] يقول الفارابي :إن الألفاظ الدالة منها ما هو اسم ومنها ما هو كلم والكلم هي التي يسميها أهل العلم باللسان العربي الأفعال ومنها ما هو مركب من الأسماء والكلم ، فالأسماء مثل زيد وعمر .. وبالجملة كل لفظ مفرد دال على معنى من غير أن يدل بذاته على زمان المعنى، والكلم هي الأفعال مثل مشى .. وبالجملة فإن الكلم لفظة مفردة تدل على المعنى وعلى زمانه.[32] "والذي يهم الفارابي أن يوضحه هو تعريف دلالات الألفاظ لأن المنطقي يهتم بها فهو لا يعني بالناحية المادية للألفاظ، بقدر عنايته بالناحية الصورية وقواعد الارتباط الصوري بين المعنى وغيره من المعاني التي تكون الألفاظ صورها المنطوقة، يقول الفارابي"ونحن متى قصدنا تعريف دلالات هذه الألفاظ فإنما نقصد المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ عند أهل صناعة المنطق فقط، من قبل أنه لا حاجة بنا إلى شيء من معاني هذه الألفاظ سوى ما يستعمله منها أصحاب هذه الصناعة.[33] "فليس مما يهتم به المنطقي أن يدل اللفظ على إنسان أو حجر أو شيء

---

[29]- إلى هذا المعنى أشار التوحيدي في المقابسات:" أن الترجمة من اللغة اليونانية إلى العبرانية ومن العبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية قد أخلت بخواص المعاني وفي إبدال الحقائق إخلال لا يخفى على احد، ولو كانت معاني اليونان تهجي في نفس العرب من بيانها الرائع وتصرفها الواسع لكانت تصل إلينا صافية وكاملة. المقابسات ص 114.

[30] - أبو ريان دراسة تحليلية مقارنة بين النحو والمنطق المرجع السابق ص 197.

[31] - الفارابي الألفاظ المستعملة في المنطق المصدر السابق ص 41.

[32] - المصدر نفسه ص 43.

[33] - محمود فهمي زيدان في فلسفة اللغة ص 114.

بقدر ما يهمّه معرفة جنس هذا اللفظ وإلى أي طائفة من الأقسام الكبرى يدخل هذا اللفظ سواء في المنطق أو في اللغة، فالجانب المهم في البحث هو في صورية الفكر وصورية اللغة التي تتمثل في قواعد النحو والإعراب وبذلك يتفق المنطق مع فلسفة اللغة وفلسفة النحو. وفي الحقيقة أن الفارابي في دراسته العميقة لفلسفة اللغة العربية أبان وأوضح علاقات تقارب بين اسم العلم في اللغة والجوهر بالمعنى المنطقي، إذ أن كليهما موصوف ولن يكون صفة لشيء آخر، بين الإسناد في اللغة، والجمل في المنطق، بين صيغة الجملة الاسمية وصورة القضية الجمليّة، بين الترادف والهوية، بين النفي والتناقض، بين الشرط في اللغة والتضمين في المنطق الذي يقوم على أن تالي القضية الشرطية يعتمد على مقدمها.[34] بل إننا إذا تعمقنا أكثر في هذين العلمين لوجدنا أن تصنيفات النحاة تقارب تصنيفات المناطقة إذ أن مباحث المناطقة تنقسم إلى ثلاث مباحث :مبحث **التصـورات** ومبحث **التصديقات** ومبحث **الاستدلال**، وإذا تناولنا تصنيفات النحاة لوجدنا أنها تنصب على القسمين الأولين من أقسام المنطق وليس مبحث التصورات في المنطق سوى مبحث الألفاظ فكل لفظ إنما يقابله تصور في الذهن وهناك تقسيمات أخرى منطقية للألفاظ[35] استعارها اللغويون كتقسيم الاسم إلى ذات، واسم المعنى، والاسم الكلي والاسم الجزئي والتفرقة بين الاسم الكلي والاسم الجزئي، وكذلك النظر في المثبت والمنفي، وتقابل القضايا الذي كان له تأثيره على النحاة في عملية النفي، أما المطلق والنسبي فهو من الناحية اللغوية ينصب على مبحث المضاف إليه .وإذا حصرنا مباحث النحويين نجد أكثرها يتفرع عن مباحث منطقية إلى الحد الذي تلتزم فيها الحدود الصورية ولكنها غالبا ما تتوغل في الجانب المادي أو جانب المحتوى اللغوي) الذي يركز على مفردات الجملة وترتيبها والوظيفة التي يتخذها اللفظ في الجملة (.. وتبتعد عن الصورية كما هو الحال في مباحث التذكير والتأنيث والتمييز والحال.[36] أما فيما يتعلق بتقسيم اللفظ المركب في المنطق إلى قسمين : التام والناقص، والتام منه ما هو خبري مثل الحديد معدن، والإنشائي مثل ما أجمل الحديقة، والناقص منه التقييدي والذي يكون فيها الجزء الثاني قيدا على الجزء الأول" نهر النيل " وهو ما يشابه في اللغة المضاف والمضاف إليه،والصفة على الموصوف، ومنه غير التقييدي مثل"في البيت "هي أداة مع اسم أو فعل وهو ما يسمى شبه الجملة . فالحقيقة أن هناك تطابقا تاما بين النحويين المناطقة، في هذا الجانب فالمركب التام عند المناطقة يفيد إفادة يحسن السكوت عليها وهو عند اللغويين " يفيد معنى ما " والمقصود من الفائدة من الجملة عند النحويين هو المقصود تماما من صحة حمل المحمول على الموضوع عند المناطقة في القضية أو الحكم ، ولكي يتحقق ذلك وضع المناطقة شروطا منها:

1- أن تفيد الجملة أو الحكم معنى الوجود.
2- أن ينطبق المعنى على طرفيها معا .
3- أن تكون هناك رابطة بين الطرفين.

---

[34] - المرجع السابق، ص 176 .

[35] - أبو ريان محمد علي، دراسة تحليلية بين المنطق والنحو ص 206.

[36] - محمود فمي زيدان، في فلسفة اللغة ص 188.

وهكذا فتحليل الجملة المفيدة عند النحاة واللغويين كان لا بد وأن يلتزم لقواعد المنطق وشروطه.[37] هذا بالإضافة إلى أننا نجد أن أي لغة تشتمل على جزئين.

الجزء الأول -: وهو تحليل القواعد التكوينية للغة (وهناك فروق طفيفة في تكوين الجملة بين اللغات) .

أما الجزء الثاني -:فيبحث في القواعد التحويلية لهذه اللغة وهي تعني كيف تتحول جمل معطاة إلى جمل أخرى،أو كيف نستخرج من جمل تعتبر مقدمات جمل أخرى مرتبطة بها مثل إذا قلنا أن ألف هي باء وكل باء هي جيم فإننا نستدل من هاتين المقدمتين على أن كل ألف هي جيم.فقد استخرجنا قضية من قضايا أخرى أو تحولت قضية إلى قضايا أخرى، وواضح أن الجزء الأول يكاد يقترب من النحو إما الجزء الثاني التحويلي فأنه ينطبق على المنطق وخاصة منطق الاستدلال القياسي ويفترض بصفة عامة أن النحو والمنطق يتمايزان كل عن الآخر من حيث أن النحو يعنى بالتعبير اللغوي، أما المنطق فإنه يعنى بمعاني الأفكار والأقوال. [38]

وعلى ذلك فالنحو والمنطق – كما يرى الفارابي -ليسا فقط صناعتين إنما هما آلتان تخصان الكلام في وجهيه اللساني والنفسي، نستفيد منهما في نظرتنا إلى الموجودات لمعرفتها الدلالية بواسطة الأولى، والعقلية بواسطة الثانية، وهما معا يهيئان بلوغ الفكر حدوده القصوى عند كشفه عن طبائع الموجودات الأولى في عالم الماورائيات.والواقع أن التطور الحديث في المنطق وخاصة على يد أصحاب الوضعية المنطقية ومنهم" كارناب "قد حذف من اهتماماته أي خلاف بين المنطق والنحو أو بين القواعد التحويلية، والقواعد التكوينية،فإن التحويل أو الاستدلال إنما يعتمد على الخاصية الصورية للجملة فحسب، أي على خاصتها الإعرابية، ولذلك فهم لا يستخدمون لفظ إعراب للدلالة– كما هو في اللغة -على القواعد التكوينية وحدها، بل على النّظام الذي يجمع بين كل من القواعد التكوينية والتحويلية معا، فإذا وضعنا في اعتبارنا أن المناطقة المحدثين قد اعتمدوا في التعبير عن قضاياهم وإستدلالاتهم بأسلوب صوري بحت أو رمزي لإدراكنا إلى أي مدى ابتعد هؤلاء عن الإشارة إلى المعنى لأن الأفكار والعمليات العقلية أو حتى مضمونها الواقعي لا تعني عندهم سوى أنها سلسلة من الرموز المكتوبة أو المنطوقة.

---

[37] - محمود فهمي حجازي ، الفكر اللغوي في إطار لقاء الثقافات .

[38] - محمود زيدان في فلسفة اللغة ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2003، ص ص 189 -190